د . وجيه كوثراني ، الاتجاهات الاجتماعية والسياسية في جبل لبنان والمشرق العربي مساهمة في دراسة أصول تكونها التاريخي ما بين ١٨٦٠ و١٩٢٠

بيروت ، معهد الانماء العربي ، ١٩٧٨ .

إن هذا الكتاب ، وقد نفذ فيه صاحبه إلى مطاوي تاريخ لبنان في إطار من تاريخ المشرق العربي ، ليستحق التقدير ، والاقبال على قراءته ، واستيعاب ما تضمن من حقائق ، تستند الى وثائق تاريخية أصيلة ، وما اغتنى به من مادة غزيرة سيبني عليها الكثيرون ، في مقبلات الأيام ، تاريخ لبنان ، الذي فقد حتى الآن مؤرخه الحقيقي ، على كثرة من تصدوا لذلك من أصحاب الأقلام المؤهلة لها حقا ، للعمل فيه ، والمتعدية فعلا ، عليه ، بدون حق او استحقاق .

لقد صدر العديد من « المؤلفات » ، التي أطلقوا عليها اسم « تاريخ لبنان » ، وأتت تحت اسماء مختلفة . غير أن اكثرها كان يلامس الموضوع من زاوية او اخرى ، تنم عما يتجه إليه الكاتب من نشر دعاوة خاصة ، او الترويج لنزعة بالذات ، ولو بتزوير الواقع ، وتشويه تاريخ هذا الوطن العزيز على قلوب الكثرة الساحقة من ابنائه ، الذين يعتبرونه أمانة في اعناقهم ، عهدت به إليهم العروبة ، ليحافظوا عليه ، ويمضوا جاهدين في دفعه على طرق التقدم والرقي ضمن إطار من القومية الخالصة ، دون ما التفات ، اللهم إلا لما ، الى الانعزاليين ، والانفصاليين من « اللبنانيين » ، دفعا لمختلقاتهم ، وتصحيحا لأضاليلهم ، وكبح جماح شرودهم عن جادة الوطنية اللبنانية ، والقومية العربية .

هذا ، والدكتور كوثراني ستحفظ له الأجيال القادمة ، كجيلنا الحاضر ، هذا الجهد الحثيث ، والنفس الطويل ، يصاحبهما التعمق في اكثر ما وصلت إليه يداه ، من مصادر ومظان ، كان لا بد له من اعتمادها ، مع عدم إغفاله النقد لما وقف عليه في بعضها ، من شذوذ او تقصير ، مقصودين او غير مقصودين ، لا فرق .

لقد برهن المؤلف، في اكثر من ملاحظة ، عن منهجية علمية اكاديمية ونقد صريح ، يسجلان له بالثناء المستطاب .

والكتاب ينطوي على ٤٠٠ صفحة من الحجم الوسط ، تضمنت ، فضلا عن مقدمتي الطبعتين ، الأولى والثانية ، سبعة فصول شفعها بـ « خلاصة » مفيدة جدا ، ثم اتبع ذلك بملاحق خمسة ، احتوت على وثائق مشهود لها : هذا ، مع لائحة بالفرنسية ، تضمنت الواردات الى مرفأ بيروت والصادرات عنه ، عام ١٨٩٤ . كما انه زاد عليها لائحة أخرى بالفرنسية ايضا ، بعنوان « وثائق غير منشورة ، وكتب وثائقية » . أما المراجع التي اعتمدها ، فقد خص الاجنبي منها بقائمة بلغت مفرداتها الرقم (٥٦) عدا ، وخصص للمراجع الموضوعة باللغة العربية ثبتا آخر ، وصل فيه الرقم الى (٤٠) . ولم يغفل عن المراجع المترجمة ، إذ جمعها في جريدة سجل عددها الرقم (٧) : وهذا لعمري مجهود يهنأ عليه الدكتور كوثراني .

أما هدف المؤلف من دراسته هذه ، فهو كما جاء في المقدمة . « أحاول أن اقرأ التاريخ من وجهة نظر الجماهير العربية : وهي وجهة قومية ، لا بالمفهوم المثالي ، او « الايديولوجي » : بل بالمفهوم العلمي ، الذي يرى في الأمة العربية مشروعا سياسيا ، اقتصاديا ، اجتماعيا ، ثقافيا ، تبلور في وعي الجماهير العربية ، وايديولوجية مثقفيها » . ويمضي في السرد قائلا . « ولكن ، لا بد ، هنا ، من الاعتراف، بادىء ذي بدء ، بما لف هذه المسيرة في تطورها ، قبل ان استقرت قوميتنا في إطارها الصحيح . اقول لا بد من الاعتراف ببروز متناقضات أربعة، نشير اليها فيما يلي . أولها . ما كان من تناقض ظاهر في حدثين اثنين . الأول